

رحيل المؤرخ عبد الله حنا..الأسد أتلَف كتابه عن الفلاحين

المدن - ثقافة | الأربعاء 2023/11/08



كان موقف عبدالله واضحاً من أحداث الثورة السورية



الشعب السوري بالعصر الحديث، معرباً عن فخره باعتبار أن حنا كتب عنه في كتابه "المثقفون" في السياسة والمجتمع.

وأمضى عبدالله حنّا حياته مدافعاً عن الفقراء وساندهم بالكثير من الكتابات التي تناولت نضالهم، منحازاً إلى صفوف الكادحين. ولطالما انتقد الإقطاع والطبقية، إضافة إلى فضح ممارسات البورجوازيات البيروقراطية في نهب القطاع العام ومال الشعب. كما أرّخ للأحزاب السياسية السورية ونشأتها، وعمل في الاتحاد العام للفلاحين لكتابة تاريخهم وقام بين العامي 1984 و1985، وبمساعدة الاتحاد، بجولات ميدانية قابل خلالها أكثر من 400 فلاح من المحافظات السورية كافة.

أنهى سِفره عن تاريخ الفلاحين في سوريا، بتكليف من النظام السوري الذي لم يجد بعثياً لكتابته، لكن بعد طبع الكتاب، أمَر حافظ الأسد بوقف توزيعه، ولم يستطع أحد أن يسأله السبب، وقد ذكر المؤرخ حنا في مقدمة طبعة الكتاب الجديدة: "في نهاية المطاف صدر الأمر بمنع تداول كتاب تاريخ الفلاحين المطبوع من كل مجلد عشرة آلاف نسخة من الورق المصقول، ونُقلت مجلداته الخمسة إلى معمل الورق في دير الزور لاستخدامها كعجينة لورق جديد، ولعل الأسباب تتعلق بنظام البعث الشمولي وبطانة الحكم الفاسدة، وطائفية حافظ الأسد ومن كان حوله".

وقصد عبد الله حنّا أن يقدّم التّاريخ بصفته تجربة معرفيّة تتضمن فاعليات نقديّة بغية التغيير، أراد أن يستنطق الشواهد فيه؛ ليبثّ الحياة في حاضر يتماوت فيه البشر، أراد أن ينتهي ببحثه لتحريك ما هو راكدٌ في المجتمع، وإيقاظ الأمة من سباتها، عن طريق القراءة النقديّة للتاريخ تساوقًا مع قراءة الواقع الاجتماعيّ المتسم بالقهر والتخلف؛ للشروع في دروب عملية الخلق المتجددة. ويقول في احدى مقابلاته عن منع الكتاب سارداً التساؤلات التالية:

– هل عدم ذكر حافظ الأسد والإطناب في مدحه والإشادة بمنجزاته، كان سببًا خفيًّا لعدم الرضى عن الكتاب؟ مع العلم أنّ اتّحاد الفلاحين نشر في أول كل نسخة صورة غطّت الصفحة لحافظ الأسد، مع إهداء منهم.
– هل هناك رغبة في طمس تاريخ سورية قبل 8 آذار/مارس 1963؟ وافتراض أنّ التاريخ يبدأ مع "ثورة الثامن من آذار" وتحديدًا بعد قيام "الحركة التصحيحية" التي قادها الرفيق المناضل حافظ الأسد في تشرين



– هل كان مستشارو "القصر" غير مدركين للعلاقة الجدلية بين القديم والجديد؟ هل يجهلون دور البورجوازية السورية في العداء للإقطاعية والتحالف معها من جهة أخرى، بسبب تشابك المصالح الاقتصادية بينهما؟ هل لا يستطيعون رؤية الدور التاريخي التقدّمي لبعض شرائح البورجوازية في حِقَب ماضية؟

– هل الاستناد إلى جلسات المجالس النيابية بين العامين 1933 و1958 هو أحد الأسباب للمنع؟ والقارئ سيقارن بين تلك الجلسات العامرة بالحيوية والنقاش والنقد وإصدار التشريعات و"مجالس الشعب" الخاوية التي قامت بعد 1970.

– هل ما كتبته من وقائع عن دور أكرم الحوراني، زعيم الحركة الفلاحية في أواسط سورية، لم يُرضِ القصر؟ هذا مع العلم أني كنت حذرًا والتففت على دور أكرم الحوراني (المغضوب عليه من النظام) وحركته المناهضة للإقطاعية الكبيرة، من دون طمس الحقائق. وكان الملاحظ في أثناء الجولات الميدانية أنّ الفلاحين العلويين كانوا الأكثر تعلّقًا بحركة أكرم الحوراني، وهذا ما سردته في الكتاب مع تحليل الأسباب...

عدا ذلك، يمثل كتاب عبد الله حنا: "صُوَر من حياة مجتمعات سورية القرن العشرين"، مرجعًا لا غنى عنه لأي باحث في التاريخ الاجتماعي - الاقتصادي السوري الحديث. وقد اعتمد فيه حنا منهجية المقابلات والتاريخ الشفوي - الذي كان من رواده المبكرين في الكتابة التاريخية الحديثة في سورية - كمصدر من مصادر التأريخ، وهو ما يلتقي مع الاتجاهات الجديدة في علم التاريخ التي تتخطى المفهوم الوضعي المحدد للوثيقة، وتفتح أمام المؤرخ مساحات واسعة من مصادر أخرى شتى، وفي مقدمتها التاريخ الشفوي. وقد قام طلاب المعهد النقابي العمالي المركزي في سورية بإجراء هذه المقابلات وتولى المؤلف الذي أشرف على عمل الفريق، تنسيقها وتنظيمها وتحريرها بما لا يخل بمنطقها والماجريات ووجهات النظر التي تتضمنها. والكتاب في ذلك يهم القارئ الذي يتعرف بواسطته على صور ومقاطع شتى من الحياة الاجتماعية في سورية، كما يفيد المؤرخ المتخصص، ويعزز مكانة التاريخ الشفوي في كتابة التاريخ.

وإلى جانب مناصرته الفلاحين، كان موقف عبدالله واضحاً من أحداث الثورة السورية، كان من الموقعين على بيان الـ99 للمثقّفين الذين طالبوا برفع الأحكام العرفية وتحطيم الجدران الحاجزة للديموقراطية وحرّيّة الرأي وغيرها من وسائل الحرّيّة. يقول: "لا نرى ما جرى (ثورة) بل سمّيناها في دراساتنا (تحركات شعبية) ساهمنا فيها، وكما ذكرنا آنفًا، الثورة لها قدسيتها ولا يجوز، بحسب وجهة نظرنا، لكل من رفع الصوت محتجًا أن يعد عمله ثورة. إنها -كما كتبنا عنها- تحركات شعبية أخذت تنزلق نحو العسكرة بفعل



وعبدالله حنا من مواليد بلدة دير عطية السورية العام 1932، تلقى تعليمه في دير عطية ثم تابع تحصيله الجامعي في دمشق كلية الآداب- قسم التاريخ وتخرج فيها حاملاً الاجازة (1954-1959). يقول: "في منتصف السنة الجامعية في (كلية التربية) لوحِقتُ لأني في الحزب الشيوعي في أيام الوحدة مع مصر في الجمهورية العربية المتحدة. ومع أنني كنت عروبيًا حتى الصميم ومع الوحدة العربية الديموقراطية، إلّا أنّ المباحث السلطانية التي قادها وزير الداخلية عبد الحميد السراج، الخاضعة للمباحث المصرية المشهورة، سحقت كل القوى الحيّة في المجتمع، وكانت بالمرصاد لمن لا يسير في ركابها. اضطررت إلى التخفي ثمّ الانتقال إلى لبنان مدة سنة، ومنها حصلتُ على منحة دراسية للحصول على الدكتوراه في التاريخ، وتسمّى في ألمانيا الديموقراطية: دكتوراه فلسفة". نال شهادة الدكتوراه في التاريخ من جامعة كارل ماركس في لايبزغ العام 1965، وكان عنوان أطروحته "حركة التحرّر العربية في بلاد الشام في مستهل القرن العشرين"، وعمل في حقل التدريس الثانوي بعدما سدّت الجامعات السورية أبوابها في وجهه بسبب توجهاته اليسارية. وقد تخصص هذا الكاتب في تاريخ الفلاحين وحركات العمال في سورية، ونُشرت له مؤلفات عديدة؛ من بينها الاتجاهات الفكرية في سورية ولبنان (1973)، والحركة العمالية في سورية ولبنان (1973) ومشكلات الانتقال من الرأسمالية (1981). الحركة المناهضة للفاشية في سورية ولبنان-دراسة-بيروت (1975). القضية الزراعية والحركات الفلاحية في سورية ولبنان- دراسة- ج1 بيروت(1975)، ج2بيروت(1978). مشكلات الانتقال من الرأسمالية- دراسة- دمشق (1981).

التعليقات

التعليقات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها



إضافة تعليق...

المكون الإضافي للتعليقات من فيسبوك

الكاتب



مقالات أخرى للكاتب

فاروق مردم بيه...ليس في سورية أكثريّة سياسيّة حاسمة

الإثنين 2025/04/21

في وداع الشاعر الياس لحود: جَدٌّ سكنته طفولة دائمة

الإثنين 2025/04/21

وعاد الربيع إلى دمشق بعد 25 عاماً

الإثنين 2025/04/21

علي الشدوي عن أول رواية سعودية (1930)

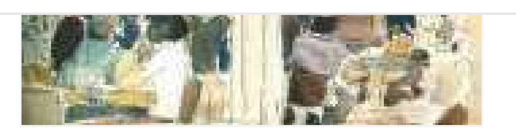
السبت 2025/04/19

عرض المزيد

الأكثر قراءة

الثقافة السورية في العهد الجديد





أمين الباشا الذي رسم المقاهي ببياض قلبه



وعاد الربيع إلى دمشق بعد 25 عاماً



في وداع الشاعر الياس لحود: جَدٌّ سكنته طفولة ...

تابعنا عبر مواقع التواصل الإجتماعي



إشترك في النشرة الإخبارية ليصلك كل جديد

اشترك معنا في نشرة المدن الدورية لتبقى على اتصال دائم بالحدث


جريدة إلكترونية مستقلة










جريدة إلكترونية مستقلة